

غير فابريكات الطحين

فليحيى بدرأوى

والواقع أن فنانا الكبير كان معذورا في تلك النغمة الهجائية الحادة التي لا تتردد في كثير من أزجاله ؛ فقارىء ديوانه لا يكاد يجد مظهرا من مظاهر الفساد في حياتنا إلا وتناولها «بيرم» بزجل أو أكثر من أزجاله ، وبخاصة في الناحية الاجتماعية وهي اللون الغالب على الديوان ، فالكثير من أزجاله ترسم لوحات حية لأنماط الحياة وأساليب العلاقات والتقاليد السائدة في أحيائنا الشعبية بحيث يحق لنا أن نعتبر الديوان من هذه الناحية وثيقة اجتماعية لا نظير لها . . وهو يعرض هذه الصور بأسلوب قصصى ملء بالدعابة والمرح ، ولا يخلو من نقد اجتماعى مرير يتوارى بين السطور أحيانا ، ويصرخ في صراحة أحيانا أخرى

الولادة والطهور ، وأساليب تربية الأطفال وتعليمهم ، وعلاقات الحب والزواج ، والشجار والطلاق ، وأساليب الطعام والشراب والنوم ، والزار ، «وعربة سوارس» ، و «حانة مانولى» ، ولوكاندة الحاج سالم» . . . وغير ذلك من مظاهر الحياة الشعبية في بلادنا يتناولها «بيرم التونسى» في ديوانه بريشة فنان واقعى حاذق يرسم أدق التفاصيل ، وأقبح المشاهد ، ولكنه لا ينشد من ورائها إلا العلاج الحاسم كما أكد ذلك في رده على القارىء . .

وللى جانب هذه اللوحات الواقعية نجد أزجالا أخرى يعالج فيها الشاعر مشكلاتنا الاجتماعية العامة علاجا أكثر صراحة وإيجابية ،